الملك عبد الله وثلاثة أعوام من الإنجازات

د. عبدالرحمن بن عبدالله المشيقح

في اليوم السادس والعشرين من جمادى الآخرة عام ١٤٢٦هـ تولى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود مقاليد الحكم في البلاد، فهذا اليوم الذي يمر كل عام يعد من المناسبات التاريخية الهامة التي ينتظرها الشعب السعودي بالفرحة والبهجة والغبطة والسرور للمليك الذي أحبّ شعبه فأحبوه، وهذا له دلالة واضحة على روابط المحبة والثقة المتبادلة والتلاحم القوي المتين بين القائد وشعبه بين الراعي والرعية بين الملك عبدالله بن عبدالعزيز والمحبين المخلصين لهذا الوطن، وهذا ليس بجديد بل أمر طبيعي لأنه نتاج الغرس الطيب الحميد للقائد المؤسس الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - الذي خلّص المملكة من الفرقة والتشاحن والتباغض ورسخ قواعد الأمن والاستقرار، فعاش أبناء الوطن في كل أرجاء المملكة في دوحة واحدة تنمو وتترعرع على يد قيادات أمينة مخلصة جاءت على يد الملوك أبناء عبدالعزيز، سعود وفيصل وخالد وفهد ثم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي عرفه الشعب السعودي منذ أن كان رئيساً للحرس الوطني ثم ولياً للعهد مما كان له الأثر الطيب في وجود العلاقات الأبوية والأخوية الوطيدة وتعزيز الروابط بين القيادة الحكيمة والمواطنين والذي كان الدافع الأكبر لبذل المزيد من الجهد وتسريع عجلة النمو والتطور والانطلاقة الكبرى نحو التقدم والازدهار.

إن خادم الحرمين الشريفين في بداية العام الرابع لتولي قيادة الحكم يزداد حباً وتقديراً لدى المواطن والمقيم وأيضاً عند قادة وزعماء الدول العربية والإسلامية والصديقة لمواقفه الصادقة الجادة في التطوير والإصلاح في المملكة وفي مساندة ومعاونة الدول والوقوف بجانب العدل والمساواة ومد يد العون والمساعدة خاصة في حالات الكوارث والمحن والقضايا العالمية. لقد أصبحت المملكة ذات مكانة رفيعة بين دول العالم ومحط أنظار القادة والزعماء والمفكرين نتيجة للجهود البناءة وذلك لكون المملكة تعد من أهم الدول الفاعلة في العالمين العربي والإسلامي وكونها دولة مهمة في مجال إنتاج وتصدير النفط إضافة إلى أنها ستكون بإذن الله عنصراً قادماً في التعدين وتصنيعه وأنها لاعب قادم في الاقتصاد العالمي. وفوق هذا كله يكون التصور في كيفية حدوث هذا النمو والتطور في البيئة الصحراوية ذات الظروف القاسية ومقارنة ما وصلت إليه المملكة من تقدم وازدهار في فترة قياسية.

من ذلك عُرف الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي جمع خصالاً عديدة تجسدت في شخصية خادم الحرمين الشريفين عندما صدر العفو عمن عدل ممن كان في الجماعات المتطرفة مع استخدام الحزم والحكمة وإجراء الحوار الذي شجع البعض في العدول إلى جادة الصواب لكي يسود الأمن والاستقرار الذي عرفته المملكة منذ تأسيسها وحتى هذا العهد الزاهر الذي ينعم فيه الشعب السعودي بالكثير من الإنجازات التي تمثلت في سلسلة من التوجيهات والمكرمات الملكية التي صبت وتصب لمصلحة الوطن والمواطن، وهذا ما جعلني أتذكر كلمات موجزة ومختصرة إثر مبايعة خادم الحرمين الشريفين للحكم.

ففي اليوم الثامن والعشرين من جمادى الآخرة عام ١٤٢٦هـ جاء هذا النص على لسان الملك عبدالله بن عبدالعزيز:

«إنني إذ أتولى المسؤولية بعد الراحل العزيز أشعر أن الحمل ثقيل وأن الأمانة عظيمة. أستمد العون من الله عز وجل. وأسأل الله سبحانه أن يمنحني القوة على مواصلة السير في النهج الذي سنه مؤسس المملكة العربية السعودية العظيم جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود طيب الله ثراه وأتبعه من بعده أبناؤه الكرام رحمهم الله وأعاهد الله ثم أعاهدكم أن أتخذ القرآن دستوراً والإسلام منهجاً وأن يكون شغلي الشاغل إحقاق الحق وإرساء العدل وخدمة المواطنين كافة بلا تفرقة ثم أتوجه إليكم طالباً منكم أن تشدوا أزري وأن تعينوني على حمل الأمانة وأن لا تبخلوا عليّ بالنصح والدعاء. والله أسأل أن يحفظ لهذه البلاد أمنها وأمانها ويحميها ويحمي أهلها من كل مكروه - ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم».

تلك الكلمات الموجزة المختصرة قد اخترتها لأنها ذات مغزى قوي من ملك البلاد مصدر القوة والثقة معبرة بكل صدق وإخلاص وحب وإيمان في إعلان ذلك أمام الشعب السعودي الذي بايعه على الحكم لنستخلص من تلك الكلمات الموجزة ما يتطلع إليه خادم الحرمين الشريفين لتحقيق حاضر مشرق وغد باهر بإذن الله للأجيال القادمة. إن تلك الكلمات معبرة عن الشمولية التي ينظر إليها الجميع ويتطلع إلى تحقيقها فخير الكلام ما قل ودل.

قائد عرفه شعبه بحبه للإسلام وعقيدته الراسخة عندما لجأ إلى الله سبحانه في طلب العون والمساعدة ومنح القوة لمواصلة المسيرة وها هو عاهد الله وعاهد شعبه بأن يكون القرآن دستوره والإسلام منهجه فما أعظم من هذه القيادة التي تتخذ من أسس الدين طريقة لقيادة الوطن فهو نعم المنهج لأنه كما ذكر المليك بأن شغله الشاغل إحقاق الحق وإرساء العدل وخدمة المواطنين كافة بلا تفرقة فجاء النجاح وأثمرت الجهود والتف الشعب حول قائده بكل حب وولاء متكاتفين حول القيادة الحكيمة حول مليكهم الذي طلب من شعبه بكل تواضع أن يشدوا أزره ويُعينوه على حمل الأمانة وأن لا يبخلوا عليه بالنصح والدعاء فما أعظم ذلك التواضع وها أنت يا خادم الحرمين الشريفين تنهي كلمتك بالدعاء، والسؤال بأن يحفظ الله للبلاد أمنها وأمانها ويحميها ويحمي أهلها من كل مكروه وختام الكلمات لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

إنها كلمات صادقة ومعبرة لحاكم مؤمن قوي محب لوطنه وشعبه وهذه مقومات القيادة الناجحة التي تكون ثمارها واضحة يانعة في ظهور علاقات قوية وطيدة وغياب الحواجز بين الملك والمواطنين فهو يتبع سياسة الباب المفتوح للجميع دون استثناء بمعنى أنه لا يوجد حائل بين ولي الأمر والرعية مما عضد من أواصر الترابط والتآخي والولاء والخلاص بالفعل والعمل فكان النجاح الباهر للمملكة في مختلف قطاعات التنمية، فالمال وحده لا يكفي لبناء الأوطان وإنما هناك الركائز الحقيقية التي ترتكز عليها المسيرة التنموية فكانت الانطلاقة الكبرى لمزيد من الإنجازات الحضارية القائمة على أحدث وسائل التقدم العلمي والتقني.

فها هو الملك عبدالله بن عبدالعزيز منذ ثلاثة أعوام وحتى بداية العام الرابع لتولي مقاليد الحكم في المملكة يصدر قرارات حكيمة وسلسلة من التوجيهات والمكرمات الملكية إزاء ارتفاع مستوى المعيشة، فجاءت على إثرها زيادة

رواتب جميع فئات العاملين السعوديين في الدولة من مدنيين وعسكريين ومتقاعدين. وهذا دليل على حرص المليك لتقديم يد العون والمساعدة للمواطنين كل حسب احتياجاته وظروفه لأن خادم الحرمين الشريفين وضع المواطن السعودي على رأس قائمة الأولويات. فجاء أيضاً القرار الملكي لمعالجة أوضاع موظفي الدولة العاملين على بند الأجور وكذلك المستخدمون والعاملون بالرواتب المقطوعة والذين يحملون مؤهلات علمية ويزاولون اعمالاً لا تتفق مع طبيعة الأعمال التي تشملها مسميات هذه الوظائف بتثبيتهم على وظائف رسمية في جميع القطاعات الحكومية، كما أصدر أوامره بتثبيت المشتغلين بنظام العمل بالساعات ضمن ضوابط محددة لتحقيق العدالة بين جميع العاملين.

في هذا العهد الزاهر تظهر العديد من المشروعات المتنوعة لمختلف الميادين التنموية نذكر منها المشروع العملاق المتكامل لبناء مدينة الملك عبدالله الاقتصادية برابغ وهي مدينة متكاملة الخدمات والمرافق والإسكان فضلاً عن المشروعات الصناعية التي ستقام في هذه المدينة الجديدة على أحدث وسائل وأساليب التقدم العلمي والتقني، وهي تُعد إضافة كبيرة للمشروعات العملاقة في الجبيل وينبع اكبر مدينتين صناعيتين في الشرق الأوسط مما ستفتح المزيد من آفاق فرص العمل. فيكفي أن هذه المدينة الاقتصادية سوف تستوعب مئات الألوف من الشباب في مختلف الأنشطة المتعلقة بمدينة الملك عبدالله الاقتصادية سواء ما يختص بالإنشاءات والتجهيزات وما بعد تلك المرحلة وما يتعلق بها من خدمات عديدة ومتنوعة والتي ستكون بإذن الله من وسائل رفع وتحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي.

لقد ازدادت بوضوح ميزانية المملكة خلال هذه الأعوام الثلاثة وأن الفائض من الميزانية كان له الأثر الواضح في صدور القرارات الملكية، فقد تم تخصيص زيادة في ميزانية التعليم لبناء المزيد من الجامعات الحكومية والكليات والمعاهد والمدارس العديدة والمتنوعة لمختلف مراحل التعليم للبنين والبنات، وما هذا إلا لمزيد من الاهتمام بأبناء وبنات الشعب السعودي باعتبارهم جيل المستقبل، فهم الثروة الحقيقية للوطن لجيال الحاضر والمستقبل التي يكون منها الوزراء والمدراء والباحثون وأساتذة الجامعات والعلماء والموظفون والمفكرون والعسكريون والسياسيون ورجال الأعمال. كما أن المرأة تشارك في الميادين التنموية ضمن ضوابط شرعية في كثير من الوظائف النسائية فنجد المرأة السعودية في حقول التعليم والصحة ومجالات أخرى، كما أن هناك سيدات أعمالهن أنشطة في القطاع الخاص، وما كل هذا إلا نتاج ثمرة التعليم في المملكة المبنية على العلم والإيمان.

ومن صور الاهتمام بالشعب السعودي الزيادة التي خصصت في ميزانية القطاعات الأخرى الخدمية وصندوق التنمية العقاري وصندوق التنمية الصناعية وبنك التسليف السعودي وقطاعي الكهرباء والماء، ولا يغيب عنا بناء مزيد من الوحدات السكنية للمحتاجين التي وصلت لأكثر من ستة عشر ألفاً من الوحدات السكنية في مختلف أرجاء المملكة وإنشاء هيئة للإسكان. كما صدر أمر ملكي بإعفاء المواطنين المتوفين من قروض صندوق التنمية العقاري وفك الرهن عن عقاراتهم.

إن اهتمام خادم الحرمين الشريفين بالمواطن ليكون عنصراً فاعلاً في مواقع العمل والإنتاج فعجلة التنمية تتطلب المشاركة الإيجابية البناءة من كل مواطن في مختلف القطاعات التنموية، ويكفي ما تنفقه المملكة من المليارات سنوياً لتأهيل الشباب.

إن المواطن لا ينسى صدور الأمر الملكي بخفض أسعار المحروقات الذي بدأ العمل به في اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني عام ١٤٢٧هـ رغم ما تعانيه الكثير من دول العالم إزاء الارتفاع المتزايد لأسعار النفط، فقد وصل إلى أكثر من مائة وأربعين دولاراً للبرميل الواحد وما يتبع ذلك من ارتفاع كبير في أسعار المحروقات.

إن هناك نفعاً حقيقياً يعود على الوطن والمواطن من وراء خفض أسعار الوقود، فمن الوجهة الاقتصادية نجد هناك منظوراً شاملاً للمنفعة العامة تأتي لصالح منفعة المواطن ذاته بخفض أسعار المحروقات يتمثل في كل ما يرتبط ويتعلق بوسائل النقل المختلفة التي تستفيد من وراءه الكثير من الأنشطة العديدة والمتنوعة من مشروعات إنتاجية وخدمية كما هو الحال في القطاعات الزراعية والصناعية والعمرانية والتجارية لأنه سيترتب عليها خفض تكلفة الإنتاج في تلك المنشآت الإنتاجية والخدمية حيث ستسهم بمعدل أكبر في زيادة حركة النقل والتجارة وما يتبعها من تنشيط لحركة بيع وشراء السيارات الجديدة والمستعملة وما تتطلبه من قطع غيار وصيانة وإصلاحات، وهذه في مجموعها تُعد منظومة اقتصادية متكاملة تعود بالخير والمنفعة.

إن هناك الكثير من الأسر السعودية قد سعدت من المكرمات الملكية فقد أدخل السرور والبهجة منذ اليوم الرابع عشر من شهر جمادى الأول عام ١٤٢٧هـ عندما صدر الأمر الملكي بتسديد الديون لمن ثبت عجزهم ولم يكن المدين مماطلاً أو متلاعباً. كما صدر أيضاً قرار العفو عن بعض سجناء الحق العام ليس للمواطن فحسب بل وللمقيم ممن لا يشكلون خطراً على الأمن.

إن جهود خادم الحرمين الشريفين لم تقتصر فقط على سحابة العطاءات والمكرمات التي روت ظمأ الكثير من المواطنين وإنما امتدت جهوده خلال الأعوام الثلاثة منذ توليه الحكم بعمل جولات على مناطق المملكة ليتفقد بنفسه أحوال رعيته التي وضعها نصب عينيه لمعرفة الأولويات القصوى التي ينبغي تقديمها على أولويات أخرى، فقد أراد بنفسه أن يبحث ويفتش عن حاجات المواطنين ويرعاهم بروح كبير العائلة السعودية الذي يتكفل بحمايتهم ورعايتهم والعمل من أجل سعادتهم في أرجاء الوطن وزيارة الكثير من المدن عن قرب وهذا يعد حدثاً تاريخياً هاما انتظره المواطن حيث ظهرت الفرحة والبهجة والغبطة والسرور للقاء القائد عن قرب.

وبجانب الجولات الوطنية كانت هناك جولات شهيرة للملك عبدالله جابت دول الشرق والغرب والدول العربية والإسلامية هدفها توطيد العلاقات وتوقيع الاتفاقيات التي تصب في مصلحة الاقتصاد والتعاون والسياسة السعودية.

إن هذه الجهود المبذولة منك يا خادم الحرمين الشريفين تعد المحرك الأساسي للشعب السعودي لأن يزيد التفافاً حول قائده ومليكه لتقديم المزيد من الجهد والعطاء الذي يعد دافعاً قوياً لتسريع عجلة النماء والتطور والانطلاقة الكبرى نحو نهضة عصرية شاملة تزيد عمقاً وشموخاً وتميزاً في مختلف المجالات عاماً بعد آخر فها هي المنجزات الحضارية التي انتشرت في مختلف أرجاء الوطن في المدن والمحافظات والمراكز والقرى لينعم المواطن والمقيم والزائر بكل هذه النعم التي تثمرها تلك الإنجازات والجميع ينعم بها تحت راية التوحيد.

•عضو مجلس الشورى